قسم اللغة والأدب العربي بجاية **مقياس: النقد العربي القديم**

كلية الآداب واللغات **السنة الأولى/ مج1/أ.شيبان**

النقد الانطباعي (مفهومه، مجالاته، نماذج من نصوصه)

النقد الانطباعي: هو نقد ينم عن أشخاص يحتكمون إلى أذواقهم، وأمزجتهم. فعادة ما تعكس أحكامهم النقدية« انفعالاً أولياً إزاء الثر الأدبي، وتعبيراً عن ذلك الانفعال في عبارات تناسبه سذاجة وأوّلية »[1].

النقد الانطباعي في العصر الجاهلي

إن المتتبع للنصوص النقدية العربية في بواكير نشأة العملية النقدية، سيجدها تعبيراً انطباعياً عمّا يتداولونه من إنشاد بعضهم، و ما يروجونه من أشعار في الأسواق والمجالس العامة. وقد اتخذ النقد الجاهلي اتجاهين في مجال إصدار الحكام.

***الاتجاه الأول:** انصبّ فيه الحكم على الشعر؛ إذ انصبت الأحكام النقدية على الألفاظ وطبيعتها، وعلى قوة المعاني، وكذلك على بناء الصورة الشعرية.

***الاتجاه الثاني:** انصبت فيه الأحكام على الشعراء من خلال المفاضلات والموازنات، وكانت الألقاب تخلع على القصائد تارة، وعلى الشعراء تارة أخرى. فسمّوا قصائدهم بالمقلدات، والمنقّحات، والمحكمات. كما سمّوا شعراءهم بألقاب دلّت على حسهم النقدي التأثيري النابع من عاطفة جياشة وذوق فطري خالص، فوجدنا منهم المرقش والمهلهل والنابغة...

[1] - السعيد الورقي، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. ط، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، 2009، ص 3.

وتذكر المصادر والكتب أنّ النابغة الذبياني كانت تضرب له قبة من جلد في سوق عكاظ، فيأتيه الشعراء ويعرضون عليه أشعارهم، ويتناشدون ويتساجلون، وينتقد بعضهم بعضاً.

لقد كان الناقد الجاهلي يحتكم إلى ذوقه الفني دون الاكتراث بالتحليل والتعليل والاستنباط« فهو نموذج يجمع بين النظرة التركيبية والتعميم والتعبير عن الانطباع الكلّي دون اللجوء إلى التعليل، وتصوير ما يجول في النفس بصورة أقرب إلى الشعر نفسه »[2].

نماذج من نصوص عن النقد في الجاهلية:

من أقدم ما عرف من الآراء النقدية في العصر الجاهلي، ما أخذه طرفة بن العبد على المتلمس حين سمعه يقول:

وقد أتناسى الهمّ عند ادّكاره بناج عليه الصيعرية مكدم

فقال طرفة: استنوق الجمل. فضحك الناس[3]. لقد عاب عليه قول (الصيعرية)، وهي سمة تكون في عنق النوق لا الجِمال. وقد وظّفها المتلمس توظيفاً لا يليق بالسياق والمقام.

كما عاب النقاد على الأعشى تضمينه المعنى الواحد بألفاظ مكررة في قوله:

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاوٍ مشلّ شلول شلشل شول

فالنعوت التي أوردها الأعشى في بيته هذا، لا تتجاوز المعنى الواحد في وصفها لحالات الترنح والسُكر التي انتابت الندماء(الرفقاء في الشرب) في مجلس الخمرة. وهذا الرأي صادر من دون الاحتكام المسبق إلى مقاييس مألوفة أو أصول ثابتة.

---

[2] - إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 13.
[3] - ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 88.

وتطرق النقاد أيضاً في الجاهلية إلى عيوب الكلام؛ كالإقواء، احتكاماً إلى وقْع الشعر في السمع، قصد ضبط إيقاع قصائدهم. فحين قدم النابغة الذبياني إلى المدينة أنشد قائلاً:

من آل ميّة رائح ومغتدي عجلان ذا زاد وغير مزوّدِ
زعم البوارحُ أنّ رحلتنا غداً وبذاك حدّثنا الغدافُ الأسودُ

فجيء بجارية تتغنّى بالبيتين مع إشباع حرف الدال وإطالته، ففطن النابغة إلى هنته(عيبه الموسيقي)، فعدّل من شطر البيت الثاني قائلاً: وبذاك تنعاب الغراب الأسودِ[4].

وفي موضع آخر يحكم النابغة الذبياني في سوق عكاظ لحسّان بن ثابت بأنه شاعر، ثم يقدّم له بعض التصويبات على معاني شعره وأساليبه. فحدث أن قال حسّان:

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
ولـدنا بني العـنقاء وابني محرّق فأكرمْ بنا خالاً وأكرم بنا ابنما

فقال النابغة: إنك لشاعر. إنك قلّلت الجفنات، ولو قُلتَ الجفان لكان أكثر، وقلتَ يلمعن في الضحى، لأنّ يبرق في الدجى أبلغ في المديح، فالضيف بالليل أكثر طروقاً. وقُلتَ يقطرن من نجدة دما لدللت على قلة القتل، ولو قلتَ يجرين لكان أكثر انصباب الدم، وفخرتَ بمن ولدت، ولم تفخر بمن ولدك، فقام حسّان متكسّراً منقطعاً[5]. فالنابغة أبدى بعض الملاحظات التي تزاوج بين نقد المعاني والألفاظ والأسلوب، إلاّ أن الإنسان الجاهلي لم تكن له دراية مسبقة بجمع القلة أو الكثرة. فهذه الوقائع على كثرتها، تحمل في ثناياها صوراً من النقد الساذج الذي يحتكم فيه الناقد إلى سليقته وذوقه الفطري، ليصدر أحكاماً خالية من العلل والأسباب.

ومن أقدم ما عرف من الآراء النقدية في العصر الجاهلي، حكومة أم جندب الطائية بين امرئ القيس وعلقمة بن عبدة، فقد ذكر ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) أن علقمة

---

[4] - المصدر نفسه، ص 141.
[5] - ينظر: المصدر السابق، ج6، ص145. النص مذكور أيضاً في الأغاني، ج8، ص194.

بن عبدة وامرئ القيس تنازعا فيقول الشعر، فاحتكما إلى أم جندب زوجة ذي القروح، فقالت: قولا شعراً على روي واحد وقافية واحدة، صِفا فيه الخيل. فقال امرؤ القيس:

خليلي مُرّا بي على أمّ جندب لنقضي حاجات الفؤاد المعذّب

فقال علقمة:

ذهبت من الهجران في غير مذهب ولم يك حقا هذا التجنّبِ

ثم أنشداها جميعاً، فقالت لامرئ القيس: علقمة أشعر منك! قال وكيف ذلك؟ قالت" لأنك

قلتَ: فللسوط ألهوب وللساق درّة وللزجر منه وقع أخرج مذهب

فجهدت فرسك بسوطك، ومريته بساقك. وقال علمقة:

فأدركهن ثانيا من عنانه يمرّ كمرّ الرائح المتحلّب

فلم يضربه بسوط، ولم يمره بساق، ولم يتعبه بزجر[6].

وهكذا بنت أم جندب حكمها في المفاضلة على الصورة النمطية التي تتشكل من خلال معرفة الإنسان الجاهلي بما حوله؛ أي بالنظر إلى مدى مطابقة الشعر مع الصورة الواقعية « وبقدر ما يحسن الشاعر من محاكاة الصور النمطية، بقدر ما يعتبر شعره فنياً راقياً »[7].

وعلى هذا الأساس بنيت تصورات العرب على المفهوم الفني للشعر؛ فالمخيال الجمعي العام هو أساس المجالس الأدبية التي عرفها العصر الجاهلي، أي أن جملة الأحكام النقدية عند الجاهليين، كانت مبنية على الحس الذاتي للناقد، وهو حس يستند أساساً إلى خبرة الناقد من حيث مطابقة الأحكام للمثل الفني العام والسائد في البيئة الجاهلية.

⋆خصائص النقد الجاهلي:

- الذاتية والابتعاد عن الموضوعية.

---

[6] - ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج6، ص145. النص مذكور أيضاً في الأغاني، ج8، ص194.

[7] - قصي الحسين، النقد الأدبي عند العرب واليونان، ص 25.

- الجزئية، فالنقد الجاهلي لا ينصب على النص ككل، بقدر ما يهتم بالبيت أو البيتين أو اللفظة أو اللفظتين.
- عدم التعليل: أي أنّ الناقد الجاهلي كان يصدر الأحكام بالاستحسان أو الاستهجان دون تعليل، وإذا اضطرّ إلى التعليل، نراه كثير الإيجاز، وفي غاية البساطة والوضوح؛ فعادة ما يكتفي الناقد في حكمه النقدي بعبارة موجزة دون إعطاء تفاصيل. ومن أمثلة ذلك: استنوق الجمل.
- نلاحظ في النقد الجاهلي نزعة المقارنة بين شاعر أو أكثر، وتفضيل واحد على الآخرين.
- تجنح الأحكام النقدية الجاهلية إلى المبالغة، فإما مدح مفرط، وإما ذم مفرط.
- بدا النقد الجاهلي على شكل قبسات جمالية، وأحكام انفعالية تخلو من التعليل والتفسير.